المقاهى والصالونات الأدبية فى مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

الدكتور
عبد المنعم إبراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

المقاهى[1] والصالونات الأدبية فى مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

ترتبط هذه الدراسة أكبر الارتباط بتاريخ المجتمع المصرى فهى معرض بديع لتاريخ مصر الاجتماعى والسياسى والثقافى، خاصة وأنها تمت بأكبر الصلات للعديد من زعماء مصر وكبار مفكريها الذين كانوا يتخذون من المقاهى والصالونات منتديات لهم يتجمعون حولها لمناقشة أمور الوطن، وبحث الحلول الكفيلة للتخلص من مشاكله. كما أنها كانت موقعا مفضلا للعامة والتجار والصناع والزائرين الغرباء. وإلى جانب ذلك فإنها تتصل بتاريخ العادات الشعبية بتراثها الكبير الذى خلفته لنا الأجيال السابقة، وتكشف عن الينابيع الأصيلة للأدب الشعبى والفنون الشعبية وللعقول المفكرة التى كانت تعنى بالفكرة والأدب وكتبت بعد أن دار الزمن دورته ما يعبر عما فى وجدان الشعب المصرى، وشخصيته المميزة على مر العصور،والتى كانت ذخيرة حية،ومنطلقا للأجيال الحاضرة التى رأت فيها مصر بعيون صادقة جمعت بين الأصالة والمعاصرة.

---

(1) ترجع نشأة المقاهى إلى أصول شرقية نقلت فكرتها إلى أوربا عن طريق طبيب ألمانى يدعى "ليونارد راوفولف" كان قد زار حلب فى أوائل القرن السادس عشر، وجلس على مقهى فى عام 1554م. أما فى مصر فقد عرفت المقاهى فى أوائل القرن السادس عشر. وقد تطورت المقاهى بعد ذلك، وتفنن أصحابها فى تأثيثها وتزويدها بمختلف أدوات التسلية والترفيه، كما أصبحت من منتديات السمر والسياسة والثقافة والأدب.

للتفاصيل انظر: الرسالة العدد 217 فى 30 أغسطس 1937، ص 1436 تحت عنوان: "تاريخ المقاهى".

وإلى جانب ذلك، فإن هذه الدراسة تتعرض لحياة الأفراد العامة،كما تتعرض لبعض الظواهر الأخلاقية والثقافية التى تتشابك فيها الملامح الإنسانية للمصريين بكافة أشكالها وألونها والتبادلات والألفة الاجتماعية المتصلة بها لدرجة أنها قدمت لنا المجتمع المصرى فى أثوابه المختلفة زاهية وقائمة بلّ وبالية فى أحيان أخرى.

ويبدو أن المؤرخ تقى الدين المقريزى (1364-م1441) كان أول من فطن إلى أهمية هذا الموضوع فقضى أعواما طويلة من حياته فى خططه التى تعد من أنفس المصادر فى تاريخ مصر الإسلامية، والتى لم ينس فيها ذكر المقاهى والمنتديات التاريخية، فقدم لنا مجموعة من الصور الاجتماعية والشعبية الفريدة، ثم جاء على مبارك وسار على منواله فقدم "الخطط التوفيقية" تلك الموسوعة الهامة التى أخرج فيها لمصر المعاصرة – من غمر الأحقاب البعيدة، والآثار المنسية والأطلال– صورا فياضة واضحة مزجت الماضى بالحاضر[2].

وقد أحصى على مبارك عدد المقاهى فى القاهرة وحدها فى عام 1880م فكان عددها 1067 مقهى، وكان أكبر عدد منها فى منطقة الأزبكية حيث بلغت 252 مقهى، ثم جاءت منطقة بولاق فى المرتبة الثانية حيث بلغ عدد المقاهى بها 160 مقهى، وبالنسبة لمنطقة الجمالية فكان يوجد بها 142 مقهى، أما المستشرق الإنجليزى "إدوارد وليم لين" Edward William Lane فى كتابه: The Manners and customs of the Modern Egyptians.[3].

فقد ذكر أن بالقاهرة أكثر من ألف مقهى، وأن المقهى كان عبارة عن غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود، وفى داخلها مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة، كما أوضح أن المقاهى كان يرتادها أفراد الطبقة السفلى والتجار وتزدحم بهم عصرا ومساء، ويقدم القهوجى القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد، وأنه كان يحتفظ بعدد من آلات التدخين من نرجيلة، وشيشة، وجوزة. وكان الموسيقيون والمحدثون يترددون على بعض

(2) محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ص 70 – 73.

(3) طبع فى لندن عدة طبعات وترجمة عدلى طاهر نور إلى العربية تحت عنوان المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر، وقد أعادت الجامعة الأمريكية بالقاهرة طباعته والتقديم له فى عام 2003 تحت عنوان: "An Account of the Manners and Customs of the modern Egyptians".

هذه المقاهى خاصة فى المناسبات الدينية[4]، وكان يمر على هذه المقاهى القرداتية ولاعبى الثعابين التى ترقص على أنغام المزمار لعرض ألعابهم، كذلك تشاهد الغوازى وهن يرقصن بمصاحبة الموسيقى والغناء تحت أضواء القناديل[5].

وربما ارتبط تعداد مقاهى القاهرة بالتوزيع الجغرافى للسكان والتركيبة الاجتماعية لهم فى ذلك الوقت. فالأزبكية مثلا ارتبطت بأنها مكان للترفيه كما أنها كانت مكانا للندوات الأدبية. ومن هنا تزايد عدد المقاهى بها خاصة حول البركة حيث كان يتجمع الأهالى. وبالنسبة لبولاق فكانت شبيهة بالأزبكية نظرا لوقوعها على النيل حيث كان يجتمع الناس حوله، أما بالنسبة للجمالية فقد كانت ملتقى الأسواق فى ذلك الوقت ومن البديهى تواجد المقاهٍ بها. وقد انقسمت المقاهى فى القاهرة إلى قسمين بلدية وإفرنجية، وكان هناك أيضا مقاهٍ للنوبيين تعد بمثابة وكالات أنباء بالنسبة لهم فى القاهرة يعرفون من خلالها أخبار عائلاتهم وما يدور فى بلادهم[6]، كما كانت توجد مقاهٍ للصعايدة، ومقاهٍ أخرى لأصحاب المهن والحرف المختلفة الذين كانت تربط بينهم التبادلات الاجتماعية المتصلة والألفة الاجتماعية، فكان يوجد فى حى باب اللوق مقاهٍ للمنجدين كانوا يجلسون إليها ومعهم أدوات التنجيد، وكان فى حى القلعة مقاه خاصة لكل طائفة من طوائف عمال المعمار مثل: البنائين والمبلطين والنجارين والنقاشين، والمبيضين وغيرهم من أصحاب الحرف التى ليس لها دكاكين، وإلى جانب تلك المقاهى أو المنتديات الشعبية سنتعرض للمنتديات الأرستقراطية أى الصالونات الأدبية، تلك التى كان يؤمها فئة رفيعة المستوى من كبار رجالات مصر الذين نقشت أعمالهم بحروف بارزة فى سجلات الفكر المصرى المعاصر، وفيما يلى نعرض للأدوار التى لعبتها المقاهى ثم نتبعها بالصالونات الأدبية:

أولا: المقاهى:

1- الدور الاجتماعى والفكرى:

لقد ضمت المقاهى والمنتديات خلال هذه الفترة مزيجا مختلفا من طبقات المجتمع المصرى فكان منها الأزهرى المعمم، ومنها الأفندى المطربش، ومنها أرباب الحرف

(4) إدوارد وليم لين: المصريون المحدثون – ترجمة عدلى طاهر نور، ص 248.
(5) جيرار دى نرفال: رحلة إلى الشرق – ترجمة كوثر البحيرى، ص 15.
(6) عبد المنعم شميس: قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، ص 15.

والأعمال اليدوية، كما كان منها بعض العاطلين وأفراد الطبقة السفلى الذين يغرمون بالسخرية من عباد الله بهدف المتعة، وكان لهؤلاء وهؤلاء ضروبا شتى من الطباع، وألوانا متباينة من التصرفات بعضها بغرض التسلية والتسرية وبعضها الآخر بهدف كسب الرزق والإحتيال عليه، بل وبعض منها بغرض كسب الإعجاب، وهناك من كان غرضه الهرب من الحياة الزوجية والبعد عن حياة الأسرة، بل كان هناك من يذهب لتناول المشروبات وقرقرة الشيشة وتدخين النرجيلة التى كان يهيئها صاحب القهوة، ومنهم من كان يذهب للاشتراك فى جلسات الحشيش والقمار[7]، والمسكرات أو الفرجة فى مجالس الرقص والفجور[8]، ومنهم من كان يقوم بممارسة الألعاب المسلية التى تعتمد على الحظ مثل: لعب الورق، والدمنو، والشطرنج، والنرد[9]، وغيرها مع أصدقائه بغرض قضاء بعض الوقت معهم ينفحهم فيه من الأحاديث حلوها ومرها، ومنهم من لا عمل له إلا الطواف بالمقاهى بحثا عن المتعة ومشاهدة الراقصات والوقوف على من يعرف من الناس والتحدث إليهم فى الأسباب الدائرة فى البلد[10]، ومنهم من يجلس فى مقهى قريب من دار محبوبته ينتظر ساعات طوال على أمل أن يلمح لون ثوبها الحريرى الأخضر خلف المشربية[11]، أو يرى خيالها الذى يلتصق بذاكرته، وربما تذهب معاناة انتظاره سدى. ومنهم من يرغب فى سماع صوت العود والقانون الذى يملأ الفضاء وسط تأثير البخور الممتزج بالعود والند، ومنهم من يذهب إليها لمشاهدة القرادتية ولعبه صراع الديكة.. والحواة الذين كانوا يقابلون بالترحاب كعناصر تسلية والبهلوانات والراقصات الذين يقدمون رقصات شعبية ساخرة فى تلك الأمكنة، بالإضافة إلى أصحاب الثعابين الذين يجعلونها ترقص على أنغام المزامير وسط أصوات يلعلع أصحابها تيها وعجبا، ومنهم من يذهب إليها للانصراف عن مشاكله الحقيقية إلى غيبوبة القصص الخرافية والحكايات الوهمية فيستمع إلى الأدباتية وقصص القصاصين، بل وفى أحيان أخرى يستمعون إلى شعراء الربابة.. الذين يقصون قصص القدماء والسير الشعبية ذات المضمون الأدبى

(7) إدوارد وليم لين: المصريون المحدثون، ص 248.

(8) محمد عمر: حاضر المصريين أو سر تأخرهم، ص 260.

(9) اللعبة المعرفة بالطاولة.

(10) عبد العزيز البشرى: المختار، جـ2، ص 187.

(11) توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، ص 60.

المؤثر مثل: قصص زناته، والسيرة الهلالية، وسيرة الظاهر بيبرس، وأخبار النبى أيوب، وقصة سيف بن ذى يزن، والسلطان حسن، والسيرة المحمدية، وغيرها من السير التى تعيد إلى الأذهان ذكرى بطولات الأجداد، ومنهم من كان يذهب إليها للترفيه عن نفسه بمشاهدة عروض العرائس المتحركة "القراقوز" وعروض خيال الظل وسماع المطربين[12]، ومنهم من كان يرى فيها تجمعا يؤمه أهل الفكر وأعلام السياسة والصحافة ومجلسا للدعاية البارعة والروح المصرية المرحة ومقصدا للأدباء والشعراء وهواة الأدب ما بين أصيل ودخيل وصاحب موهبة، وصاحب حيل وألاعيب، ومنهم أصحاب المواهب من الشبان الذين تألق نجم بعضهم، وأصبحوا يتبارون بمساجلاتهم ويكتبون وينظمون ويتناقشون فى علومهم وفنونهم، وتقوم المجادلات بينهم حول المعركة بين القديم والجديد أو فى المقارنة بين حافظ وغيره من الشعراء أو التغنى بالشعر والأدب على السواء، خاصة بعد أن ضاقت البيوت عن استضافة مثل هؤلاء الأصدقاء، وتلك المجموعات الكبيرة من الناس ذات الأهواء المختلفة والمواهب المتعددة، وبذلك أصبحت المقاهى والمنتديات تلعب دوراً كبيراً فى الحياة الاجتماعية المصرية، خاصة وأنها كانت مجالا لإطلاق النكت العذبة، التى يهيمون بها ويتسابقون إليها كما كانت مجالا للأحاديث الأدبية، والفكاهة الحلوة التى لو جمعت فى كتب لجاءت لنا بكم كبير من المجلدات المفيدة.

ففى الإسكندرية التى لم تخل شوارعها وحاراتها من المقاهى البلدية خلال القرن التاسع عشر والتى استمر الإقبال عليها فى التزايد من جانب الطبقات الدنيا، كانت هذه المقاهى تتكون من مساطب للجلوس لعمل القهوة والشاى، ثم تطورت وأصبحت تشتمل على مقاعد ومناضد مصنوعة من الخشب يمر من خلالها الجرسون بخفة وسرعة حاملا بمهارة صينية مملوءة بفناجين القهوة الصغيرة، كما كان يمر بائع العرقوس وعصير الليمون الذى كان يمسك بصاجات من النحاس يضربها ببعضها بعضا مثبتا على كتفه حمالات تعينه على حمل الإناء النحاسى وأكواب وضعها فى حزام حول وسطه، وأثناء

(12) كانت مقاهى القاهرة تتبع تقليدا فنيا لجذب الرواد وإغرائهم بالجلوس الطويل حيث كان لكل مقهى مطرب خاص به يذهب الناس إليه خصيصا للاستماع إليه، لكن هذه المظاهر اندثرت بدخول الراديو والتلفزيون إلى مصر.

ذلك ترتفع أصوات بائعى الفاكهة والخضراوات وهم يروجون لبضاعتهم، وأمام المقهى يمكن أن تسمع فرقعة سوط هوى على ظهر حمار يجر عربه كارو بصعوبة[13]. أما المقاهى الإفرنجية فكانت كبيرة، وكان يرتادها الموسرون أصحاب الحلل المفصلة والطرابيش، والمشهورة منها القهوة الفرنساوية بميدان محمد على وقهوة أوربا فى حارة رأس التين، وقهوة البرادى فى حارة البوسطة الفرنساوية فى ساحل البحر، وقهوة البحر، وقهوة المدرسة المشرقية وقهوة الحظ، وقهوة مغنى التى يلعب فيها التياترو وغيرها[14].

وكان هؤلاء يجلسون إلى موائدهم بالساعات يرقبون حركة الناس فى الشارع وهم يشربون القهوة التركية وفى يدهم منشة.. يحركونها دائما لطرد الذباب، وفى اليد الأخرى كانت المسبحة المصنوعة من الكهرمان، وأحيانا كانوا يقرأون الأهرام بينما يقوم ماسح الأحذية بتلميع أحذيتهم. وقد لعبت هذه المقاهى دورا هاما فى تكوين مجموعة من أبرز المفكرين الذين قادوا الحركة الثقافية فى مصر وكانوا من أعلام نهضتها، وكان كل مقهى منها عبارة عن مجتمع صغير يضم ضروبا شتى من الطباع وألوانا متباينة من التصرفات، وحياة زاخرة بالأفكار والأحداث والشخصيات. ففى مقاهى أزقة وأحياء الإسكندرية القديمة نشأ الأديب والسياسى عبد الله النديم الذى أضحك الناس وأبكاهم حيث اختلط بالحمالين والسقائين وأصحاب المزاج الذين يسخرون بكل شىء، ومن كل شىء سخرية موجعة كأنها السياط التى تجلد ظهر المجتمع.

لقد تعايش النديم مع هؤلاء واستمع إليهم وشاركهم السخرية من أوضاع المجتمع المقلوبة وكانت كتاباته فى مجلته "التنكيت والتبكيت" من أروع الأدلة على ذلك.. فتحت عنوان: "تخريفة الجنون فنون" أعطى النديم صورة كاريكاتورية لجو مقهى مصرى جلس عليه أحد المحتالين يقرأ أكاذيب سماها قصة عنترة.. فاجتمع عليه الكثير من الرعاع والهمج الذين ولعوا بسماع الأكاذيب والخرافات، وقد دعا النديم هؤلاء إلى الانتباه إلى مشاكلهم الحقيقية بدلا من ضياع وقتهم فيما لا ينفعهم[15]، وذلك بأسلوب واقعى جذاب يحمل بين دفتيه التنكيت والتبكيت معا.

---

(13) استر تسميرلى: حياتى فى مصر، مذكرات فتاة سويسرية عاشت فى الإسكندرية، ترجمة محمد أبو رحمة، ص 55.

(14) على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ 7، ص ص 200 – 201.

(15) التنكيت والتبكيت: العدد الأول فى 6 يونيو 1881، ص 10 – 11.

وإلى جانب ذلك تعرض النديم لتجربته الشخصية مع الأدباتية الذين كانوا يمرون على المقاهى، فذكر أنه كان جالسا فى مقهى الصباغ المجاور للمسجد الأحمدى بطنطا ذات مرة فمر عليه أحد الأدباتية المحترفين بطبلته وطرطوره ووجهه المدهون بالجير يبغى منه قرشا بقوله:

أنعـــم بقرشـــك يـــا جـــندى وإلا اكـــسنا أمـــال يـــا أفـــندى

إلا أنـــا وحـــياتك عـــندى بقـــى لى شـــهرين طـــوال جـــيعان

ولما كان جيب النديم خاويا فى ذلك الوقت، ولا يملك قوت يومه فقد تحركت فيه أريحته ورد مرتجلا:

أمـــا الفلـــوس أنـــا مديـــشى وأنـــت قلـــت لى: أنـــا مـــا أمشيـــشى

يطلـــع عـــلى حشيـــشى[16] أقـــوم أملـــص لـــك لـــو دان!

وتستمر المبارزة نحو ساعة ينهزم بعدها الأدباتى أمام النديم[17]، وفى مقاهى الإسكندرية الشعبية بدأ الشيخ سلامة حجازى منشدا، كما برزت موهبة سيد درويش الموسيقية عندما كان ينتقل من مقهى إلى آخر حيث تنطلق حنجرته بالغناء والشدو ممسكا عوده ليعزف عليه عزفا يصاحب صوته كمطرب فى مقاهى الإسكندرية الشعبية وهو يتوسط تخته، وخلال ذلك تصادف أن استمع إلى صوته الممثل أمين عطا الله صاحب الفرقة التمثيلية المشهورة وقتذاك فأعجب بصوته، وعرض عليه الالتحاق بفرقته ليغنى

(16) أى يخرج عن صوابه لأن الحشاش يتصرف غالبا تصرفات غير طبيعية.

(17) أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، ص 78.

ومن الفنون الشعبية التى كانت معروفة فى مقاهى القاهرة أيضا فن القافية وهو فن يقوم على مباراة كلامية بين شخصين يطلب أحدهما من صاحبه أن يدخل معه فى قافية، وعندما يقول الأول كلاما لاذعا فى وصف صاحبه يقول له الآخر: (ايش معنى) أى ماذا تقصد فيرد عليه الشخص الآخر ردا لاذعا أيضا، ومن شروط هذه المباراة ألا يغضب أحد الطرفين، وقد اشتهرت قهوة بجوار جامع السيدة نفيسة بهذا اللون من فنون المقاهى. ومن المعروف أن الفنان نجيب الريحانى بدأ حياته التمثيلية بتقليد هذا اللون من الفنون.

انظر: عبد المنعم شميس: مرجع سابق، ص 21 – 22.

بين فصول المسرحيات كما أخذه معه إلى سورية ولبنان حيث نمت موهبته الموسيقية[18]، ولمع نجمه.

وإلى جانب ذلك فقد بدأ فى قهوة ""زاوانى" بالإسكندرية أول لقاء بين الجمهور والأشرطة السينمائية عام 1896 حيث أقيمت حفلة كانت الأولى من نوعها فى القطر المصرى، وكانت عبارة عن فنون سينمائية شملت فيلما فرنسيا قصيرا.[19].

وعن أهم مقاهى القاهرة خلال تلك الفترة نذكر: مقهى الفيشاوى:[20] الذى أنشئ فى عهد الخديو إسماعيل بالقرب من مدخل خان الخليلى الضيق من جهة الحرم الحسينى الذى يختزن فى ذاكرته أكثر من قرن ونصف قرن من تاريخ مصر حيث جلس معظم أدباء ومفكرى مصر وصحفيّها على اختلاف أجيالهم وعقلياتهم وتباين ثقافتهم حول موائد الشاى الأخضر والأحمر، والشيشة العجمى كل مع من يأنس إليه، فنجد منهم الشيخ الأزهرى القح، والأديب الذى ملأ جعبته بالنوادر، والحديث عن العقاد والمازنى وهيكل وطه حسين والزيات وأحمد أمين وغيرهم والصحافى الذى يتحدث عن نجوم السينما والمسرح ويتطرق إلى يوسف وهبى، وجورج أبيض، وأمينة رزق.

وكانت السهرات الطيبة فى هذا المقهى تكثر فى شهر رمضان، فتستبدل أكواب الشاى بأكواب الزبيب والمكسرات، كما يتزايد فى حلقات الفيشاوى أعداد رجال السياسة والأدب والصحافة فنجد لطفى السيد باشا، وهيكل باشا، وفكرى أباظة، ولطفى جمعة، ونجيب محفوظ والكثيرين من أساتذة الجامعة ومشايخ الأزهر وأعضاء مجلس النواب كل منهم يطلب السمر، والاستعانة على السهر حتى السحور. وبعد أن يأتى العيد يعود الوضع إلى مستواه، ولا يبقى بالفيشاوى إلا الذين يعكفون عليه من الصحفيين والأدباء والشعراء[21] والذين تنبعث من خلالهم الاتجاهات والتيارات الأدبية والفنية والفكرية

---

(18) للتفاصيل انظر. عبد المنعم الجميعى: تطور الموسيقى والطرب فى مصر الحديثة، ص 59.

(19) الأهرام عدد 6 يناير 1896 والجدير بالذكر أن مقاهى الإسكندرية كانت الموقع الخصيب الذى يلجأ إليه المقامرون من المصريين والأجانب الذين ما لبث أن تنتهى لقاءاتهم بعد نهاية المقامرة بتشاجرهم، وإعتداء بعضهم على الآخر. انظر الجريدة العدد 1383 فى 2/ 10/ 1911.

(20) مؤسس هذا المقهى هو محمد فهمى الفيشاوى، والذى كان من المشرفين على إعداد الحفلات الخديوية، والذى أهدته إحدى الأميرات مجموعة من الحجرات شكلت المقهى. القاهرة العدد 217 فى 8 يونيو 2004.

(21) الرسالة 1939 ص 404 – 405.

المختلفة وعند قيام الحرب العالمية الثانية عام 1939 ظل مقهى الفيشاوى المكان الذى يستقبل الراغبين فى السهر، حيث لم يكن فى القاهرة كلها مقهى ساهرا طوال الليل فى ليالى الغارات سوى مقهى الفيشاوى الذى كان يغلق أبوابه على رواده الذين يمارسون لعبة الدومينو ويحتسون الشاى الأخضر دون إحساسه بالقلق الذى تثيره الغارات الجوية من وقت لآخر[22].

والجدير بالذكر أن هذا المقهى شهد أول لقاء للتعارف بين الشاعر بيرم التونسى والملحن زكريا أحمد.. هذا الثنائى الذى كان له الفضل فى تطور الأغنية العربية ولاسيما القصائد التى شدت بها كوكب الشرق أم كلثوم. كما شهد هذا المقهى قفشات الشاعر كامل الشناوى يستهدف بها الشاعر عبد الحميد الديب.

وغلى جانب ذلك فقد أبدع نجيب محفوظ ثلاثيته بين القصرين والسكرين وقصر الشوق بين جنبات هذا المقهى[23]، حيث استلهم منه أفكار وأحداث هذه الروايات وغيرها.

وعلى الرغم من أن هذا المقهى قد اكتسب شهرة كمجلس مفضل للمثقفين والفنانين، كما ارتبط بأسماء العديد من الشخصيات التاريخية، فقد تبدلت أحواله مع اختلاف أحوال الزمان، وبنيت أمامه عشرات المحال التجارية والمطاعم مما حجبه عن المشهد الحسينى، كما اختفت الندوات التى كانت تقام فيه، ويتقلص رواده من أهل الفن والأدب بسبب الزحام الشديد وفضول باعة اللب والسودانى والشحاذين وغيرهم[24].

ونذكر مقاهى حى الأزبكية التى لعبت دورا كبيراً فى حياة كثيرين من رواد نهضتنا الأدبية والفكرية، فقد كانت مسرحا لأدباء مصر، حيث كانوا يرتادون المقاهى والمراقص المنتشرة على وجه البركة خاصة "كازينو سانتى". وكثيرا ما يجعلون مما يشاهدون من لهو موضوعا لكتاباتهم عن هذا العالم الغريب، خاصة وأن العديد من هذه الأماكن كانت عبارة عن مراقص ومغانٍ وأندية للقوادين وتجار الأعراض وبؤرة للحشاشين وبائعى المخدرات، ومجمعا لطلاب اللهو الحرام، وكان أصحاب المقاهى يتنافسون فى اجتذاب

(22) محمد عبد الواحد: حرائق الكلام فى مقاهى القاهرة، ص 193.

(23) القاهرة العدد 217 فى 8 يونيو 2004.

(24) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 202.

الجماهير، فيتخذون وسائل مختلفة لإغراء الناس بالجلوس فى مقاهيهم. فمنهم من يستأجر الفتيات الجميلات من بنات الهوى، ومنهم من يستأجر القصاصين لتسلية الناس بالقصص الطويلة والحكايات اللطيفة، والنوادر الطريفة والملح المطربة والنكات المنعشة، وكان القصاصون يجلسون فوق دكة مرتفعة، ويأتون بحركات تناسب المقام. أما عن المستمعين فكانوا يجلسون على أقفاص من سعف النخيل فى ضوء مصابيح الزيت الخافتة[25]، وخلال ذلك ينشد القاص بعض الأزجال والموشحات والمواويل أو الشعر العامى فى سيرة الظاهر بيبرس، وهز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف وغيرها[26].

ومنهم من يستأجر أحد المطربين للغناء، وكانت أشهر المقاهى التى تدعو المطربين للغناء بها مقهى "عثمان أغا" الذى به عبده الحامولى، وأقبل الناس من كل صوب على سماع صوته الرخيم، ومقهى "نزهة النفوس" الذى عملت فيه منيرة المهدية فى مطلع "حياتها الفنية، ومقهى "الكازار" الذى عملت به الأختان "قمر وليلى"[27]، ومقهى "سانتى" الذى عملت به أم كلثوم[28]، وكان شاعر النيل حافظ إبراهيم كثيراً ما يخرج إلى حديقة الأزبكية ليجلس تحت دوحة حانية متهدلة الأغصان كان يسميها شجرة البؤساء، وكان ينظم أبياتا ويكتب كلمات يدونها، ويلتقى ببعض أصدقائه ليتحادثون فى أمور الأدب والثقافة[29].

وإلى جانب ذلك فقد كانت مقاهى وجه البركة مجمعا للنصابين والمحتالين الذين يتصيدون أهل الريف القادمين إلى القاهرة ويبتزون أموالهم وكان سماسرة البورصة يتخذون من هذه المقاهى أماكنهم وينصبون شباكهم للقادمين من الريف إلى القاهرة، ولما كانت المحكمة المختلطة تقع فى ميدان العتبة القريب من البركة فقد انتشر وكلاء المحامين الأجانب فى المقاهى الواقعة بتلك الناحية يصطادون أرباب القضايا من المصريين وغيرهم[30].

ونتيجة لما أشيع عما يحدث فى هذه المقاهى من مخالفة للآداب العامة فقد اعتبر معظم

---

(25) جيرار دى نرفال: مرجع سابق، ص 124.
(26) محمد كيلانى: فى ربوع الأزبكية، ص ص 25–26.
(27) شريف عفت: تاريخ أقل قبحا، ص 81.
(28) عبد المنعم الجميعى: مرجع سابق، ص 77.
(29) محمد كامل جمعة: حافظ إبراهيم، ص 54.
(30) كيلانى: مرجع سابق، ص ص 98–99.

رجال الدين الجلوس فى المقاهى شيئا لا يليق بالكرامة، ولا يناسب الوقار الدينى، وأنكروا على الطلاب ذهابهم إليها حتى كان شيوخ الأزهر يبثون العيون ليقبضوا على كل طالب يجلس على القهوة ويقدموه للعقاب بحجة أن المقاهى تجمع الصغار والكبار والأرذال الذين يروجون الأكاذيب ويغتابون الناس ويلعبون الشطرنج وألعاب الميسر ورأوا أن ذلك يخل المروءة ويسقط الشهادة ويدنس العرض[31]، واستمرت الأحوال على ذلك لفترة لدرجة أنهم نعتوا فندق شبرد بخمارة شبت.

وإلى جانب ذلك نذكر مقهى المضحكخانة وهى قهوة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد محمد على وتقع فى شارع الخليفة بحى السيدة زينب، وكان يطلق عليها "المضحكخانة الكبرى"، وقد اختير الشيخ حسن الآلاتى رئيسا لها بالشيخ العتيد، وكان يؤمها أهل الفكر والأدب وكثير من ذوى الحيثيات يتشاورون فى أمور وطنهم، ومن هؤلاء نذكر الشيخ أبا نصر المنفلوطى وأحمد سمير، وأمين فكرى.

وقد وصف الشيخ حسن الآلاتى هذا المقهى بقوله: "اتخذنا مركزا أمينا، وحصنا حصينا وهى قهوة لطيفة فى شارع الخليفة ولما تم الانتظام، ورضينا بهذا المقام سمينا هذا الجلسة الغراء بالمضحكخانة الكبرى، وشاع صيتها فى البلاد، واشتهرت بين العباد، وقد ظلت هذه القهوة ملاذا لأهل الأدب والظرف فترة طويلة من الزمان، وبين أرجائها كانت تتردد الملح العذبة والقفشات الطريفة، ومنها كانت تصدر النكات الحلوة التى تدوم طويلا على ألسنة الناس"[32].

وفى باب الخلق ذلك الميدان الذى يمر به الطريق الواصل إلى الحسين، والسيدة، والإمام، وفيه كانت تقام دار الكتب وجدت "قهوة باب الخلق" التى كانت منتدى "للصحفيين والأدباء قضوا به العديد من السهرات العامرة، والمجالس الحافلة التى حملت العديد من الذكريات فخلال عمل حافظ إبراهيم بدار الكتب كان ينسلّ إلى هذا المقهى مع صحبه وإخوانه أمثال أمام العبد، وصاحب الصاعقة، ومنع الحماره يقطع وقته فى جد القول وهزله[33].

وكان يجلس فى هذا المقهى الشيخ محمد المهدى، وحفنى ناصف، والشيخ محمد

(31) محمد سيد كيلانى: مرجع سابق، ص 23.
(32) جمال الدين الرمادى: عبد العزيز البشرى، ص 105 – 106.
(33) محمد كامل جمعة: المرجع السابق، ص 53.

الخضرى، وبعض طلاب الأزهر، ومدرسة المعلمين الناصرية يتحدثون فى الدين والسياسة، واللغة والأدب، كما ارتاد هذا المقهى طه حسين، وأحمد حسن الزيات، وبعض المتمردين على حواشى الأزهر ومتونه، واستمر طه حسين يرتاد هذا المقهى، وبعد أن تمرد على إخوانه راح ينعتهم بأدباء باب الخلق[34].

وفى هذا المقهى كانت تعقد الندوات التى كان يحضرها أحمد مخيمر والهمشرى وطاهر أبو فاشا والشاعر أحمد فتحى وعبد الرحمن الخميسى[35].

وفى مقهى بشارع قصر النيل بالقرب من الجامعة القديمة[36] كان طه حسين يجلس عليه قبل أن تبدأ المحاضرات بساعة أو أكثر، وفيها كان يدور الحوار والأحاديث بين الطلاب، وفيها تلقى طه حسين بعض دروس اللغة الفرنسية من أحد زملائه[37].

وعن مقهى الكتبخانة المواجهة لمبنى دار الكتب بشارع محمد على فقد كانت مؤثثة على الطراز العربى، وبها كان المكتب غير الرسمى لشاعر النيل حافظ إبراهيم، والذى كان لا يصعد مكتبه فى دار الكتب إلا قليلا، وكانوا يحضرون له الأوراق الرسمية التى يجب وضع توقيعه عليها فى هذا المقهى وهو يشرب القهوة ويدخن الشيشة، وهو غارق فى كتابة قصائده وإعادة ترتيب بعض كلماتها حتى يتلوها على أصدقائه أمثال: ولى الدين يكن، وخليل مطران، وعبد العزيز البشرى، وفؤاد الصاعقة، وحفنى ناصف، والبابلى وغيرهم ليتبين آراءهم فيها، كما كان يتعرض لأحوال مصر الاجتماعية مازجا ذلك بالنوادر والفكاهات، ومن كان يطعن فى فنه فذلك الكسر الذى لا يجبر، والذنب الذى لا يغفر. كما كان بعض موظفى دار الكتب يتسللون إلى المقهى لاحتساء الشاى والتدخين لم يكون مسموحا لهم بذلك داخل الدار، وربما لذلك لم نسمع عن حرائق بسبب مواقد صناعة الشاى وأعقاب السجائر فى دار الكتب وغيرها كما يحدث الآن، وخلال ذلك كان أدباء

(34) الرسالة: العدد 304 فى أول مايو 1939 تحت عنوان: "الأندية الأدبية فى مصر"، ص 866.
(35) نعمان عاشور: مع الرواد: ص 10.
(36) مقر الجامعة الأمريكية الحالى.
(37) طه حسين: أديب.

دار الكتب وشعراؤها ومنهم أحمد رامى يقضون وقتهم فى قرض الشعر وسط ضجيج رواد المقهى.

ومن رواد هذا المقهى أيضا الشيخ الشربتلى أحد أعلام الصحافة المصرية ومجموعة من محررى الحوادث والقضايا الذين كانوا يجتمعون كل صباح فى المقهى انتظارا لنظر القضايا فى محكمة باب الخلق القريبة من المقهى وبجوارها مديرية أمن القاهرة[38].

ولم يقتصر أمر المقاهى على المبارزات الفكرية والشعرية بين روادها بل كانت تقام مباريات أخرى أكثر إثارة بين الديوك، حيث عشرات المتسابقين من الباشوات والبكوات والأجانب وغيرهم لمشاهدة هذه المباريات.

وفى مقهى ايزافيتش بميدان التحرير توافد الفنانون والمفكرون والمثقفون من كل لون فقد تردد عليها المؤرخ محمد صبرى السربونى والمهندس حسن فتحى وأبو بكر سيف النصر الذى كان يشبه الملك فاروق كثيرا، وتوافد عليها رجال الحركة الشيوعية، كما توافد عليها المحامون، وكبار الموظفين وأعيان الريف الذين كانوا يترددون على وزارات الحكومة ومصالحها فى حى لاظوغلى.

وفى مقهى الحرية[39]، بميدان الأزهار بباب اللوق وسط القاهرة كان يتردد عليه المازنى وزكريا أحمد ومحمود الحفنى وبيرم التونسى وإبراهيم ناجى ونعمان عاشور والعديد من الأدباء أو المتعلقين بهواية الأدب، وكان به أماكن لجلوس النساء، كما كان يرتاد هذا المقهى البكوات ورجال الفن. وقد جلس على هذا المقهى من الضباط الأحرار أنور السادات وبعض زملائه الذين التقوا فى المقهى، واتفقوا فيه على العديد من القرارات الحاسمة.

وبعد قيام ثورة يوليو اختفى الطابع الكلاسيكى لهذا المقهى، واختفت أوجه الأبهة فيه ولم يعد يتردد عليه سوى عشرات الزبائن معظمهم من الشباب والحرفيين الذين يحيلونه إلى قطعة من الصخب المجنون[40].

---

(38) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 213–216.

(39) بنى على أنقاض منزل أحمد عرابى، وقد افتتح فى عام 1936.

(40) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 63.

وارتبط مقهى ريش بتفريخ العديد من المشروعات الأدبية والفكرية فقد ولدت فيها فكرة إصدار مجلة الكاتب المصرى التى تولى رئاسة تحريرها الدكتور طه حسين ومجلة الثقافة الجديدة التى رأس تحريرها رمسيس يونان، كما طفت من خلال ريش فوق سطح الثقافة المصرية حركات فكرية نشطت مع العائدين من الخارج وخاصة من فرنسا، وكان معظمهم من مؤيدى الاشتراكية بمختلف مدارسها.

وابتداء من عام 1963 كان نجيب محفوظ يعقد ندوة أسبوعية صباح كل يوم جمعة بمقهى ريش، ومنذ ذلك الوقت أصبح المقهى مقصدا لجيل جديد من الأدباء والمثقفين منهم: صلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودى ورشدى أباظة وعباس الأسوانى وكمال الملاخ ونجيب سرور وغيرهم.

وإلى جانب ذلك فقط ارتبط هذا المقهى بعروضه الفنية. ففى صالة مقهى ريش عرضت فرقة عزيز عيد فصولا من مسرحياتها فى عام 1918، وجاء صالح عبد الحى وزكى مراد ومنير مراد والشيخ محمد أبو العلا، كما جاءت أم كلثوم بملابسها البدوية المتواضعة متنكرة فى صورة فتى للغناء[41].

وقد تردد على هذا المقهى من الفنانين: إسماعيل يس، ورشدى أباظة، وتوفيق الدقن، وفاطمة رشدى، وصلاح منصور، وأنور منسى "زوج المطربة صباح" التى تشاجرت معه على المقهى واستدعت له الشرطة.

وفى مقهى عبده الدمرداش بالدراسة كان يتم جذب الرواد وإغراؤهم بالجلوس الطويل عن طريق الغناء، فقد كان عبده الدمرداش – هو نفسه صاحب القهوة – من أشهر المغنيين الشعبيين فى أواخر الأربعينيات من القرن الماضى لدرجة أن مواويله كانت تنتشر فى جميع أنحاء مصر بسرعة البرق، وفيما كان يقوم صبيانه بخدمة رواد المقهى كان هو يصدح بمواويله التى تشنف الآذان، والذى كان يقوم بتأليفها وتلحينها بجانب تأديتها، وكان يجلس على هذا المقهى العديد من الفنانين[42].

---

(41) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 125 – 128.

(42) خيرى شلبى: صحبة العشاق رواد الكلمة والنغم، ص ص 43 – 44.

وفى حى الحلمية كان هناك مقهى يرتاده الأدباء والمفكرون واختلط بين جدرانه الأدب بالسياسة، وكان من رواده: حسين رشدى باشا، وأحمد شوقى، وحفنى ناصف، وحافظ إبراهيم، والمازنى[43].

وفى مقهى عبد الله التى توسطت ميدان الجيزة، وكانت تعد أقرب المقاهى إلى الجامعة، وأرخصها سعرا، وأكثرها احتكاكا بالحياة اليومية للجماهير العديدة من أبناء الشعب خاصة وأنها قهوة شعبية تتميز برصيف متسع يطل على ميدان الجيزة وتقع على رأس الشارعين الرئيسيين الممتدين إلى داخل الجيزة تحيطها المحلات التجارية والمطاعم من الجانبين، وكانت لا تغلق أبوابها على مدار الليل والنهار وتظل مضاءة حتى الصباح، ويستطيع الجالس فيها أن يراقب الحركة الكاملة للميدان الواسع الذى تتقاطع عنده أربعة شوارع رئيسية، أحدهما إلى الأهرامات والآخر يؤدى إلى كوبرى عباس والثالث يمتد حتى أبواب الجامعة، والرابع يؤدى إلى القاهرة. وقد اكتسب هذا المقهى شهرته من خلال حلقات الأدباء والمثقفين والمفكرين فى الخمسينيات حيث اجتمع فيها هؤلاء يشربون الشاى والقهوة ويقرأون لبعضهم البعض آخر ما توصلت إليه قرائحهم من إنتاج، وتدور بينهم فى بعض الأحيان المعارك الفكرية التى شكلت ملامح هذا الوهج الذى يطلق عليه الثقافة المصرية الحديثة وقد ضمت هذه المجموعة: الدكتور عبد الحميد يونس، وأنور العداوى، والدكتور كامل حسين، ورجاء النقاش، ولويس عوض، وصلاح عبد الصبور، ونعمان عاشور، ورشاد رشدى، وأحمد رشدى صالح، وأحمد عبد المعطى حجازى، وزكريا الحجاوى ومجموعته، والشاعر محمود حسن إسماعيل وتلاميذه من الشعراء الجدد، كما وفد إلى هذا المقهى من الأساتذة العائدين من الخارج محمد القصاص، ومحمد مندور العائدان من باريس والدكتور عبد القادر القط العائد من إنجلترا[44]. والذين كانوا يسارعون إلى قهوة عبد الله لقضاء الليل فى حوارات متصلة ومناقشات حول حياتنا الأدبية والفكرية، وحول الفلسفة الوجودية التى كانت مسيطرة على الغرب وقتذاك والواقعية الإسلامية المستندة على التراث الشعبى.

---

(43) الرسالة: العدد 292 فى 5 فبراير 1939.

(44) نعمان عاشور: مع الرواد، ص ص 11 – 13.

وفى هذا المقهى أيضا كان يجتمع الشباب من النقاد والشعراء، فقد أتى إليه أمل دنقل على استحياء بصحبة عبد الرحمن الابنودى قادمين من الصعيد بحثا عن فرصة بين أوساط المثقفين بالقاهرة[45].

وفى مقهى (سان سوسى) بلا هموم تركزت جلسات رواد الأدب الشعبى حيث ارتبط هذا المقهى برواد الفنون والآداب الشعبية، كما كان يتدفق عليه العديد من الصحفيين الكبار ومن المترددين عليه دواما رشدى صالح ونعمان عاشور وعلى الراعى، والثلاثة يمثلون روافد هامة فى دراسات الفولكلور وفن المسرح وفى النقد الأدبى[46]. ونظرا لأن هذا المقهى كان قريبا من ستوديوهات شارع الهرم فقد كان يحفل غالبا بكبار الممثلين أمثال: يوسف وهبى، وأنور وجدى، وليلى مراد، وزينب صدقى، ومحمد عبد القدوس، وغيرهم،[47] والذين كانت جلساتهم والصحبة معهم تمتد عند مشارف الفجر أحيانا. يضاف إلى ذلك أن بعض السياسيين والشعراء كانوا يفضلون الجلوس على هذا المقهى.

وعرفت الجيزة أيضا قهوة كتكوت التى لم يكن زبائنها من نوع واحد فقد تردد عليها نماذج عديدة فى أوقات مختلفة. ففى الصباح الباكر كان يتردد عليها بعض كتبة المحامين، ورواد المحكمة الذين كانوا ينتظرون النظر فى قضاياهم، وفى الظهيرة كان يجلس عليها بعض الطلاب المزوغين من مدارسهم، وبعض عمال استديو مزراحى السينمائى، وفى المساء كان يقصدها بعض الموظفين. وفى الفترة الأخيرة من الليل كانت هذه القهوة تشهد مجموعة من الأدباء والصحفيين الذين يظلون بها حتى قرب طلوع الفجر.

واستمرت قهوة كتكوت فى تأدية دورها حتى ماتت بعد موت صاحبها بأشهر قليلة، وتحولت بعد ذلك من منتدى لجلسات الفكر والثقافة إلى محل للأحذية من كل المقاسات[48].

وفى مقهى رابض تحت سفح الهرم الأكبر تعرف أمير الشعراء أحمد شوقى على الموسيقار محمد عبد الوهاب وأخذ فى الاهتمام به ورعايته، فعبد الوهاب لم يطرح سمع

(45) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 224.
(46) سمير سرحان: على مقهى الحياة، ص 13.
(47) نعمان عاشور: مرجع سابق، ص 13.
(48) محمد عبد الواحد: مرجع سبق ذكره، ص 255 – 261.

شوقى إلا فى هذا المقهى الذى كان يرتاده كل يوم جمعة فى فصل الشتاء. فبعد أن لفت الشيخ عبد العزيز البشرى نظر شوقى إلى فن عبد الوهاب بقوله: "أما يا باشا فيه جدع اسمه عبد الوهاب صوته زى الخص أحب أنك تسمعه، طلبه شوقى وحمله على ملازمته"[49]. مما يوضح دور هذا المقهى فى لقاء شوقى بعبد الوهاب وفى مقهى "الاسبلندر بار" تلك المقهى الارستقراطية كان يحتكرها الأعيان وكبار الموظفين. وفى طابق علوى بهذه القهوة نظم خليل مطران شاعر الأقطار العربية كثيرا من شعره، وترجم فصولا من رواية عطيل[50]، وفى هذا المقهى كان حافظ إبراهيم يجالس أبناء سوريا ويتندر معهم ويطرفهم بطرائفه أمثال: طنوس والدكتور شلبى شميل وسليم سركيس[51].

وفى مقهى بار اللواء الذى كان يواجه المبنى القديم لجريدة الأهرام فى شارع مظلوم بوسط القاهرة كان يجلس محررو الكشكول وحافظ إبراهيم ومحمد البابلى والعديد من رجالات الفكر والصحافة يترددون كذلك على هذا المقهى ومعهم جماعة من أهل الأدب يجتمعون للأسمار وتبادل ألوان المفاكهات[52] والأحاديث الجديدة والساخرة وطرائف النوادر ويحظون بالطعام الدسم والشراب المعتق الذى يجود به عليهم الظريف محمد البابلى[53].

وإلى جانب ذلك فقد كان يجلس على هذا المقهى حمد الباسل عضو الوفد الشهير، والذى كانت تطلق عليه بعض الصحف (أبوزر) حيث كان طربوشه طويل (الزر) لا يفارق رأسه[54].

وفى قهوات شارع خيرت كانت تعقد الندوات الأدبية بين الحين والآخر، وتناقش فيها المقالات الأدبية التى تنتشر فى الصحف، والمرايا الانتقادية التى كان الشيخ البشرى يكتبها فى أقطاب السياسة والأدب.

---

(49) جمال الدين الرمادى: عبد العزيز البشرى، ص 89.
(50) الرمادى: مرجع سابق، ص 93.
(51) محمد كامل جمعة: مرجع سابق، ص 54.
(52) الرمادى: مرجع سابق، ص 95.
(53) محمد كامل جمعة: مرجع سابق، ص 54.
(54) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 14 – 15.

وفى هذه المقاهى جلس حافظ إبراهيم، وإمام العبد، والمنفلوطى، وعبد الرحمن شكرى، وإبراهيم عبد القادر المازنى. كما شهدت اجتماعات الأدباء كانوا يكتبون فى المجلة الأسبوعية مصباح الشرق التى كان إبراهيم المويلحى يغذيها بأظرف المفاكهات[55].

وعن مقهى انديانا ذلك المقهى المشرفة على ميدان الدقى فقد كان روادها من المثقفين الذين خرجوا من بيئة شعبية وتمكنوا بعلمهم من احتلال مراكز اجتماعية مرموقة، وأصبحوا نجوما للصحافة والأدب، ومن هنا فقد اهتموا بمشاكل الطبقة الوسطى بصراعاتها وبنزوعها نحو التسلق وبأزماتها الاجتماعية الخاصة[56].

وبالنسبة لمقهى ركس[57] بشارع عماد الدين فكان عنوانا دائما لفنانى المسرح ومطربيه، وللفنانات الأجنبيات، كما حرص رواد مسارح عماد الدين على ارتياده فقد كان مكانا دائما لمقابلة نجيب الريحانى لأفراد فرقته الذين أدمنوا مساومته على أجورهم، كما كان مكانا مفضلا للفنان استيفان روستى، يضاف إلى ذلك أنه كان يحلو لأبناء الطبقات الراقية من الأطباء والسياسيين الجلوس على هذا المقهى.

وإلى جانب ذلك فقد كانت مقاهى الأزهر والحسين تشهد المناقشات الحادة فى علوم الفقه والتفسير، كما تشهد الساعات الطويلة فى شرح ألفية بن مالك، وحاشية الصبان، والأشمونى، وكتاب الجمهرة لابن دريد وغير ذلك من علوم الأزهر، كما كانت تشهد المساجلات الأدبية حول شعر الجارم وعلى محمود طه وإيليا أبو ماضى وبشارة الخورى وغيرهم من أعمال الشعر[58].

يضاف إلى ذلك أن هذا المقهى كان قبلة لطلاب الثقافة والعلم والوراقين والخطاطين والنساخين والباحثين عن كل طريف ومفيد من الكتب سواء بالاقتناء أو بالاستنساخ. هذا عن الدور الفكرى والاجتماعى للمقاهى والذى عبر عن وجدان الشعب المصرى،

---

(55) الرمادى: مرجع سابق، ص ص 93 – 94.

(56) سمير سرحان: على مقهى الحياة، ص 13 وما بعدها.

(57) أنشئ فى عام 1931 وإدارة الخواجة اليونانى جناكليس بعد أن اشتراه من الخواجة داود عدس. للتفاصيل انظر: محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 97 – 98.

(58) الرمادى: عبد العزيز البشرى، ص ص 91 – 92.

وغاص فى أعماقه ومس قلبه مسا دقيقا، وعبر عما يجيش فى نفوس أبنائه من رغبات وأمنيات وكان بمثابة مراكز إشعاع مضيئة فى كافة أنحاء مصر بعد أن ضاقت البيوت عن استيعاب الأصحاب واستضافة الأصدقاء[59].

أما عن الدور السياسى للمقاهى، فهذا ما سنتعرض له:

2- الدور السياسى:

ومن المقاهى التى كان لها دور سياسى قهوة البوسطة التى كانت تقع فى ميدان العتبة الخضراء بالقرب من مصلحة البريد بالقاهرة، والذى تغير اسمها بعد ذلك وأصبحت تعرف بقهوة متاتيا[60]، إذ كان يؤمها لفيف كبير من أقطاب الفكر والسياسة والأدب، وإلى جانب ذلك فقد ارتبط هذا المقهى بنشاط جمال الدين الأفغانى فى مصر ذلك النشاط الذى يعد فصلا هاما من فصول الفكر السياسى فى تاريخ مصر الحديث. فكان الأفغانى الذى حمل بين جنباته أفكار التحريك الشعور الوطنى والنهوض بالإسلام والمسلمين والوقوف فى وجه الاستعمار والمستعمرين، يطيب له الجلوس فيها، عصر كل يوم إلى ما بعد المغرب حيث كان يلتف حوله طلابه ومريدوه على هيئة نصف دائرة يناقشونه فى أدق المسائل وأعقد الأمور[61]، ويتعلمون منه أهمية الإصلاح الاجتماعى وأهمية الخطابة والصحافة فى ترقية الأمم حتى أصبحوا فيما بعد من أعلام النهضة المصرية، ومن هؤلاء الصحفيين الشاميين: أديب اسحق، وسليم النقاش، والشاعر محمود سامى البارودى الذى لعب دورا رئيسيا فى الثورة العرابية بعد ذلك، والشيخ محمد عبده الأزهرى المستنير الذى حاول التوفيق بين السلفية والتحديث، وعبد الله النديم خطيب الثورة العرابية والرجل الثانى بعد أحمد عرابى، وسعد زغلول الذى قاد ثورة 1919، وأصبح أول رئيس وزارة ينتخبه الشعب، ويعقوب صنوع رائد المسرح العملاق والصحفى الذى أطلق قلمه دون تقيد بقانون أو رقيب.

وخلال الجلسات فى هذا المقهى لم ينقطع الأفغانى عن شرب الشيشة وتوزيع السعوط

(59) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 51.

(60) كانت تحتل مكانا بارزا وسط القاهرة أسفل عمارة شاهقة بين ميدانى العتبة والموسكى.

(61) أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، ص 78.

بيمناه والثورة بيسراه حيث سخر حديثه فى خدمة مطالب الشعب المصرى، والدفاع عن حقوقه وقضاياه فكانت كلماته تغلى لها الدماء "إنكم معاشر المصريين قد نشأتم على الاستعباد وتربيتم على الاستبداد.. هبوا من غفلتكم.. واصحوا من سكرتكم.. عيشوا كباقى الأمم أحرارا أو موتوا مأجورين شهداء!" و.. "أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت ما يسد الرمق ويقوم بأود العيال.. لماذا لا تشق قلب ظالميك؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون أتعابك؟!".

ولم يتوقف نشاط الأفغانى فى هذا المقهى حتى قبض عليه فى جنح الظلام بعد خروجه منه واقتادته الشرطة تحت الحراسة إلى السويس حيث ركب سفينة خرجت به من مصر منفيا إلى الهند فى عهد الخديوى توفيق، ومع ذلك فقد استمر تلاميذه من جلسات هذا المقهى يشعلون الحماس فى النفوس حتى نجحوا فى إلهاب شرارة الثورة العرابية.

وفى هذا المقهى تم الاتفاق بين عثمان جلال وإبراهيم اللقانى على إصدار جريدتهما الأدبية الحرة "نزهة الأفكار" فى عام 1869م، والتى لم يظهر منها غير عددين ثم احتجبت[62]، بعد أن خشى الخديوى إسماعيل من عواقب لهجتها المتشددة وتلميحاتها اللبقة وجرأتها فى سبيل الحق[63].

يضاف إلى ذلك أن رياح ثورة 1919 هبت من هذا المقهى حيث جلس أبطالها على مقاعدها البالية، ولم يتوقف النشاط السياسى فى تلك الفترة على مقهى "متاتيا"، بل كان هناك مقهى "يلدز" القريب من حديقة الأزبكية، والذى كان يتوافد عليه طلائع المفكرين الأحرار من مصر والعالم العربى، ومنهم عبد الرحمن الكواكبى الذى فر من الاضطهاد العثمانى فى بلاد الشام إلى مصر والعالم العربى، وعاش فى القاهرة معززا يكتب على صفحات جريدة المؤيد حلقات كتابه "طبائع الاستبداد"، كما كان يتوافد على هذا المقهى محمد كرد على، ومحمد رشيد رضا، ومحمد عبده، وسعد زغلول. وفى هذا المقهى التف حول الكواكبى مجموعة من رجالات حركة "تركيا الفتاة" الذين كانوا يتطلعون إلى اليوم الذى تتخلص فيه أوطانهم من ربقة الذل والهوان، وقد سرت أفكار الكواكبى فيهم

(62) قسطاكى الياس عطارة: تاريخ تكوين الصحف المصرية، ص 257.
(63) الرمادى: مرجع سابق، ص 92.

وباتت كلماته عن الاستبداد بمثابة المشاكل التى تهديهم إلى طريق الخلاص، مما دفع السلطان عبد الحميد إلى التخلص منه.

ومما يروى حول وفاته أنه فى مساء الخميس 14 يونيو 1902 جلس الكواكبى فى مقهى يلدز إلى جانب أصحابه وأصدقائه وفيهم السيد رشيد رضا والأستاذ محمد كرد على، وإبراهيم سليم النجار وشرب قهوة مرة، وبعد نصف ساعة أحس بألم فى أمعائه وظل يقىء ثم أصيب بنوبة قلبية فارق على أثرها الحياة[64].

ويكاد أصحاب الروايات المختلفة يجمعون على أنه "ذهب ضحية الغدر والدسيسة بتدبير من أبى الهدى الصيادى أو من جواسيس السلطان عبد الحميد".

وبالنسبة لقهوة "بار اللواء"[65] التى كانت تقع أمام بناية جريدة الأهرام القديمة بشارع مظلوم فى قلب القاهرة فقد كانت منتدى لأهل الفكر والأدب والصحافة.

وعلى الرغم من أن صورة الزعيم الوطنى مصطفى كامل صاحب اللواء كانت تتصدر هذه القهوة الكبيرة، وبالرغم من أن العديدين من رجالات الحزب الوطنى كانوا من روادها فقد ارتادها العديد من رجال السياسية والأحزاب الأخرى لاسيما حزب الأحرار الدستوريين، كما كان يجلس عليها محررو الكشكول والسياسة الأسبوعية، يضاف إلى ذلك أن أنطون الجميل باشا رئيس تحرير الأهرام كان يترك مكتبه فى الجريدة ليتخذ من إحدى مناضد هذه القهوة مكتبا له حتى يجمع من حوله الأدباء والشعراء[66] حيث كانت تكتب قصائد الشعر، وتسمع الأخبار. وإلى جانب ذلك، فقد كان حافظ إبراهيم يلتقى فى هذا المقهى بالصحفيين، أمثال: داود بركات، وتوفيق فرغلى حيث يتمتع بمجالسة الظريف محمد البابلى، ويحظى بطعامه الدسم، وشرابه المعتق الذى كان يأمر به فور حضوره، ثم تدور الأحاديث الجدية والساخرة وطرائف النوادر بينهم[67].

---

(64) عباس العقاد: عبد الرحمن الكواكبى، الرحالة ك، ص 113.

(65) كان اسم جريدة اللواء التى أسسها مصطفى كامل فى عام 1900 قد انتشر فى القاهرة وغيرها وأطلق على بعض المدارس والصيدليات والمحلات التجارية وغيرها.

(66) عبد المنعم شميس: مرجع سابق، ص 100.

(67) محمد كامل جمعة: المرجع السابق، ص 54.

والجدير بالذكر أن العائلة الأباظية كان لها ركن فى هذه القهوة، وكان من أشهرهم فؤاد باشا أباظة الذى كان رئيسا للجمعية الزراعية، وفكرى أباظة المحامى والصحفى الشهير، والوزير إبراهيم الدسوقى أباظة باشا الذى كان يلتف حول مائدته أدباء البؤس من أمثال: عبد الحميد الديب ومصطفى حمام وغيره[68]، وكان من رواد هذا المقهى أيضا الدكتور محمد حسين هيكل والشيخ عبد العزيز البشرى وإبراهيم عبد القادر المازنى والدكتور محمد عزمى الصحفى الشهير الذى تولى منصب عمادة كلية الحقوق وأنشأ قسم الصحافة فى كلية الآداب وحمد الباسل عضو الوفد.

وبالنسبة لمقهى الفيشاوى فقد كان الثوار من الشباب خلال ثورة 1919 وما بعدها يتظاهرون بأنهم يرتادونه لتناول الشاى الأخضر، بينما كانوا يجتمعون سرا لتدبير تحركاتهم الثورية ضد جيش الاحتلال.

وارتبط مقهى ريش بعشرات الأسماء الشهيرة على الصعيدين السياسى والثقافى فخلال ثورة 1919 كانت مكانا يجتمع فيه دعاة الثورة والمهتمين بشئونها، وفيها كانت تتخذ القرارات وترسم الأهداف فقد كان زعماء ثورة 1919 يلتقون على ريش، كما وجدت فيها ماكينةلطبع المنشورات. وعلى ريش أيضا قرر الجهاز السرى لثورة 1919 أن يغتال يوسف وهبه باشا رئيس الوزراء، ونتيجة لذلك أحاط الجنود البريطانيون بهذا المقهى أكثر من مرة وأجروا تفتيش الجالسين به بحجة ضبط المنشورات الثورية[69].

وفى نهاية العهد الملكى تجمع الضباط الأحرار، وكان إعداد منشورات الثورة وخطب رجالاتها وبعض تحركاتها السياسية تتردد بين ردهاتها[70].

وإلى جانب ذلك فلا يمكن ان نغفل فى معرض الحديث عن ثورة 1919 دور مقهى جروبى القديم[71] الذى كان بمثابة نقطة التجمع لرجالات الثورة حيث كان يجتمع فيه بعض رجالات الحركة الوطنية، كما كانت تذاع منه أخبار الثورة، وتنظم المظاهرات وتوزع المنشورات، وتدبر الخطط[72]، مما ضايق الإنجليز وأدى إلى قيام جنودهم باقتحامه

(68) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 269.
(69) عبد الرحمن الرافعى: ثورة 1919، ص 209-211.
(70) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 124-128.
(71) مكان هذا المقهى حاليا شارع عبد الخالق ثروت.
(72) الرمادى: مرجع سابق، ص 94.

فى العاشر من مايو 1919 والاعتداء على رواده، كما أخذوا يفتشون الجالسين جزافا بحجة العثور على أسلحة أو ضبط منشورات سرية وكرروا هذا الهجوم والتفتيش أكثر من مرة[73]. ولما لم يوفقوا فى مبتغاهم أصدرت السلطة العسكرية البريطانية أوامرها بحظر الاجتماعات فى المقاهى، واعتبار أى شخص يشترك فى مثل هذه الاجتماعات مخلا بالنظام والقانون، كما اعتبر أى اجتماع يعقد فى مقهى، ويحضره أكثر من خمسة أشخاص وتلقى فيه خطب أو يحدث فيه ما يعكر صفو الأمن العام يؤدى إلى غلق هذا المقهى فى الساعة السادسة مساء فى المخالفة الأولى، وإلى الغلق النهائى فى المخالفة الثانية[74].

ومع كل ذلك فقد ظلت أنشطة هذا المقهى فى التزايد، كما تزايد عدد رواده لدرجة أن شاعر النيل حافظ إبراهيم قد طلب من هؤلاء الرواد أن يتخففوا عنه شيئا فشيئا، وذلك فى قوله:

وما بال قومى لا ينزلون بغير جروبى وبار اللواء[75]

ولم يتوقف الأمر على هذا المقهى، بل كان لمقهى الحلمية دور مميز خلال الثورة، حيث انطلقت منه خططها، مما جعل الإنجليز يضيقون به ذرعا، فاعتدوا على روادها أكثر من مرة، كما قاموا بتفتيشهم بحجة ضبط المنشورات الثورية[76].

يضاف إلى ذلك أن قهوة أحمد عبده التى ذكرها نجيب محفوظ فى روايته "بين القصرين" كانت تعج بالثوريين الذين امتلأت قلوبهم بالغضب من الإنجليز وتصرفاتهم خاصة بعد نفيهم لسعد زغلول إلى مالطة، فبعد أن ضاق فهمى بمجلسه "نازعته نفسه إلى الاجتماع بإخوانه فى قهوة أحمد عبده حيث يظفر بقلوب تستجيب لقلبه ونفوس تسابقه إلى الإعراب عما يضطرم فى قراراتها من الإحساس والرأى. هناك يسمع أصداء الغضب المتقد فى قلبه، ويستأنس بإيماءاته الجسورة الملتهبة فى جو باهر من التعطش إلى الحرية الكاملة، مال الى أذن ياسين، وهمس: إلى قهوة أحمد عبده، فتنفس ياسين من الأعماق".[77]

---

(73) عبد الرحمن الرافعى: ثورة 1919، جـ1، ص209.
(74) نفسه، ص 27-28.
(75) ديوان حافظ إبراهيم، جـ1، ص224.
(76) الرسالة: العدد 292 فى 6 فبراير 1939.
(77) بين القصرين: ص 338.

أما بار الأنجلو بشارع شريف[78] فقد ضم كبار الساسة والكتّاب وأصحاب الأعمال على اختلاف انتماءاتهم الحزبية، ونزعاتهم السياسية، فكان يجلس فيه محمد حسين هيكل الدستورى، وحافظ عوض الوفدى، وفكرى أباظة نصير الحزب الوطنى وغيرهم من السياسيين الذين كانوا يلتقون فى هذا المقهى الفسيح تجمعهم فناجين القهوة فى الصباح والسهر والنميمة فى المساء، كما كان الدكتور على إبراهيم والشيخ عبد العزيز البشرى يقصدانه خلال بعض الأمسيات حيث يمتد بهم السهر إلى ما بعد منتصف الليل[79].

ومن هذا المقهى كانت تخرج الأخبار السياسية، وعلى موائده كانت تحاك الخطط وتشكل الوزارات، وتحاك المؤامرات لإسقاطها، وبعد ان امتد النشاط الشيوعى فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية كانت أغلب جلسات زعماء هذه الحركة المفضلة على رصيف قهوة "إيزافتيش" حيث كتبت قصائد وتوهجت قصص حب، ودارت معارك فكرية وسياسية وأدبية.

لقد كان هذا المقهى يحتل موقعا متفردا وسط ميدان التحرير ويملكه مهاجر يوغسلافى من البوسنة فر من بلاده بعد انفراد تيتو بالسلطة، واستطاع أن يجعل من هذا المقهى أشهر مقهى فى مصر قبيل الخمسينيات من هذا القرن.

ومن أبرز رواد هذا المقهى: سيد خميس والأبنودى وإبراهيم فتحى وأمل دنقل وسيد حجاب وبهاء طاهر.

لقد ارتبط ايزافيتش ببعض المواقف السياسية، فقد كان شاهدا على مظاهرات الطلاب فى فبراير 1946 رافعين لافتة "أين الغذاء والكساء يا ملك النساء؟" وحركة الطلبة عام 1968 أثناء المطالبة بمحاكمة المسئولين عن النكسة، وعلى اعتصام الطلبة عام 1971 للمطالبة بضرورة حسم المعركة مع إسرائيل[80]. هذه نماذج عن دور المقاهى الفكرى والسياسى فى المجتمع المصرى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

---

(78) بنى مكانه حاليا البنك المركزى المصرى.

(79) الرمادى: مرجع سابق، ص 96.

(80) محمد عبد الواحد: مرجع سابق، ص 81 وما بعدها.

ثانيا: الصالونات الأدبية:

أما عن المنتديات والصالونات الأدبية أو تلك الأندية الأرستقراطية التى كانت تجذب إليها صفوة قادة الرأى وأقطاب الفكر والتى كان للفكر والأدب مجالس خاصة بها، فقد ظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر وانتشرت فى مطلع القرن العشرين، ومن أهمها: صالون نازلى فاضل، وصالون ميّ زيادة، وصالون هدى نازلى فاضل:

أما صالون نازلى فاضل ابنة الأمير مصطفى فاضل شقيق الخديوى إسماعيل فقد كان يعد من أبرز هذه الصالونات وأشدها تأثيرا فى الحركتين الأدبية والسياسية خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث ضم بين جنباته صفوة القوم فى مصر أمثال: شريف باشا، ورياض باشا، ولطيف باشا سليم، وعمر باشا لطفى، وشاهين باشا وغيرهم ممن تألفت منهم هذه الجماعة التى عرفت باسم جمعية حلوان السرية، ثم الحزب الوطنى بعد ذلك[81].

كما قام هذا الصالون بجهد كبير فى تغيير فكر واتجاهات جماعة الشيخ محمد عبده، تلك الجماعة التى بدأت جذورها منذ حضور الأفغانى إلى مصر، وازدهرت بفكر ونشاط الشيخ محمد عبده نفسه، كما ضم هذا الصالون بين جنباته: قاسم أمين، وسعد زغلول، واللقانى، وإبراهيم الهلباوى، وأحمد فتحى زغلول، وإبراهيم المويلحى، وأديب اسحق، والشيخ على يوسف، وحسين رشدى وغيرهم من قادة الفكر والرأى والسياسة الذين أدوا دورا متميزا فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، هذا إلى جانب أنه كان يضم بين جنباته كبار رجال الاحتلال البريطانى فى مصر أمثال: "اللورد كرومر" والمستشرق "رونالد ستورز".

وفى هذا الصالون كانت تناقش مسائل الإصلاح الاجتماعى ويتدارس خلاله الفكر الراقى، وفيه احتدم النقاش بين نازلى فاضل والشيخ محمد عبده بعد أن قام قاسم أمين بالرد على كتاب "الدوق داركور" الذى حمل فيه على نساء مصر بكتاب ألفه بالفرنسية أسماه "المصريون"[82] ونشره فى عام 1894 ناقش فيه وضع المرأة فى المجتمع الإسلامى،

---

(81) للتفاصيل انظر: عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية، ص 30 – 81.

(82) قام حفيد قاسم أمين بترجمة هذا الكتاب بناء على توصية من أحمد لطفى السيد، وقام الهلال بنشره فى سبتمبر 1995.

ونفى مقولة إن الحجاب يمثل سجنا للمرأة، ودافع عن موقف الإسلام من تعدد الزوجات، وهاجم السفور والمصريات اللاتى يقلدن الإفرنجيات مما ضايق نازلى التى كانت تجالس الرجال فى صالونها، واتهمت الشيخ محمد عبده بالتفريط فى الدفاع عنها بوصفه أحد رواد هذا الصالون، مما دفع قاسم أمين إلى أن يوضح أفكاره حيال ها الموضوع فكتب كتاب تحرير المرأة، ذلك الكتاب الذى تسبب فى هز المجتمع المصرى من الأعماق وآثار العديد من المعارك الفكرية والاجتماعية والدينية فى ذلك الوقت.

صالون مىّ زيادة:

وعن صالون "مىّ زيادة"[83] الأديبة الشاعرة القوية الحجة وصاحبة القلم[84] التى اهتمت بتحرير المرأة وإعطائها حقوقها السياسية والتى عاشت على ضفاف النيل وتألق نجمها، ونالت من الشهرة ما لم تنله أديبة مثلها فى عصرها خاصة وأنها أتقنت فن المقال والخطابة والنقد، بالإضافة إلى تفتح مواهبها الشعرية لدرجة أن مجلسها كان متحفا لألوان مختلفة من الألحان والشعر والأحاديث الأدبية وقلما خلا من كبار الأدباء والمثقفين، فقد تزاحم على الاقتراب منها أبناء جيلها من الأدباء والمثقفين، وكبار الشخصيات خاصة وأنهم من الجيل الذى لم يتعود على اختلاط امرأة تكشف عن وجهها وهى فى بهجة الصبا، وعذوبة الأنوثة تناقشهم

(83) اسمها الحقيقى مارى الياس زيادة، وقد ولدت بالنصارة فى عام 1886 من أب لبنانى وأم فلسطينية، ورحل والدها إلى القاهرة فى عام 1908 حيث أسس مجلة المحروسة.

(84) كتب عباس العقاد عن صالون مى زيادة بقوله: "جعلت مى" مباحثها كلها سمرا مؤنسا، وصيرت الدنيا كلها غرفة استقبال لا يصادف فيها الحسن ما حسنه ورواؤه ففيها الكفاية، وعليها مزيد من مهارة التنسيق، وبراعة الترتيب تجود به الآنسة من عندها وإن لم يكن له هذا النصيب من الحسن والرواء فلن يحرم فى المتحف المكان الممهلة، ولا الإطار المحلى، ولكنه ينالها وعليها مزيد من مهارة التنسيق، وبراعة الترتيب أيضا: غطاء موشى سمين وكن من شئت... ثم اقرأ كتابة الآنسة مى لا تجد فيها ما يغضبك أو تظن أنها مناقضة مصوبة إليك فى هوى نفسك ومنزع فكرك، وليكن لك رأيك فى أسلوب الكتابة أو نمط التفكير أو صيغة التعبير، فما من كاتب إلا وللناس فى أسلوبه وتفكيره وصيغ تعبيره آراء لا تتفق. أما الإنسان فى "مى" ذلك الكائن الشاعر الكامن وراء الكاتب منها والمفكر والمعبر – فلا يسع الآراء المتفرقة إلا أن تتفق فيه وتصافحه مصافحة السلام والكرامة".

وتبادلهم أطراف الحديث بأسلوب لبق، وجرأة مثيرة للدهشة تتحدث خلالها عن تحرير المرأة وأهمية إفساح المجال أمامها فى العلم والعمل[85]. وعن هذا الصالون نذكر أنه كان كعبة لرجال الفكر ومنارة للثقافة المعاصرة والفن والشعر والأدب قصده أناس عديدون منهم من يتحدث العربية بلهجة قاهرية، ومنهم من يتحدثها بلهجة حلبية، ومنهم من يتحدث الإنجليزية، ومنهم من لا يحلو له الحديث إلا بالفرنسية فقد قصد هذا الصالون عدد غير قليل من الرجال وفيهم أكثر من أعزب عاش حياته بلا زوجة. وفيهم المتزوج. ومنهم من هو من لبنان وسوريا كخليل مطران وداود بركات، وجرجى زيدان، وانطون الجميل، وشبلى شميل، ويعقوب صروف، ونجيب هواوينى. وبعضهم من مصر كلطفى السيد، وعباس العقاد، ومصطفى عبد الرازق ومصطفى صادق الرافعى وأمين واصف، وأحمد شوقى، وحافظ إبراهيم، والشيخ عبد العزيز البشرى، ومصطفى صادق الرافعى، ومنصور فهمى، والدكتور على إبراهيم وطه حسين وغيرهم، حيث كانوا يتبادلون كل عصر ثلاثاء أسبوعيا فى شقتها الملاصقة لجريدة الأهرام[86] بشارع أبو السباع[87] والقريب من سينما مترو وسينما ميامى أشهى الأحاديث الأدبية والفكرية، والأبيات العذبة من الشعر الرصين، والنوادر الطريفة والدعابات الحلوة، والسمر المؤنس فى منازع الفكر والأدب والفن[88]، وكان الجميع يحاولون كسب ودها والظفر بمرضاتها فى تحفظ واحتياط[89]، وهى تستثير عواطفهم إذ تتلطف معهم وتقترب وتبتعد من الواحد منهم بعد الآخر، كما كانت تفتح من خلال صالونها أبواب التحاور فى موضوعات فكرية شتى، وكانت "مى" كثيرا ما توجه هذا الحوار. ومما يذكر أن طه حسين سمع فى هذا الصالون ولأول مرة نقد "لرسالته فى الدكتوراه عن أبى العلاء"[90].

---

(85) عباس العقاد: أنا، ص 16.
(86) محمد عبد الله عنان: ثلثا قرن من الزمان، ص 118.
(87) شارع عدلى حاليا.
(88) شوقى ضيف: مع العقاد.
(89) فتحى رضوان: عصر ورجال، جـ1، ص 330.
(90) مذكرات طه حسين ص 46.

ولم يسمع أن أحدا تخلف عن موعد الثلاثاء فى صالون "مى" بل كان الكل يحاول أن يسبق الآخر فى الوصول إلى الصالون حتى يحظى بدقائق متفردة مع "مى"، خاصة وأنها كانت تستطيع أن تشعر كل رجل حولها على اختلاف العمر والثقافة أنه رجلها وأنه أسعد حالا، وأطيب نفسا، ولعل بعضهم كان يخرج من ندوة صالونها وهو يحسب أنه ظفر من ودها والتفاتها بأكثر مما ظفر سواه، ثم لا يجد بعد ذلك مما ظن وتوهم شيئا[91].

لقد أحبها مصطفى صادق الرافعى وكتب من وحيها أوراق الورد، وقال فيها أمير الشعراء أحمد شوقى شعرا[92] ووصف ملامحها كامل الشناوى، وإلى جانب ذلك فقد ألهمت جبران خليل جبران التى خفق قلبها له وأحبها العقاد وأحبته ثم وقعت الفجوة بينهما، وتغنى بها الشاعر إسماعيل صبرى وبمجلسها فقال:

روحى على دور بعض الحى هائمة كظامى الطير تواقا إلى الماء

إن لم أمتع "بمى" نظرى غدا أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

وعلى الرغم من ذلك فإنه لشىء يثير الدهشة أن تكون "مى" قادرة على إلزام محبيها حدودا لا يتجاوزونها وقيودا لا يكسرونها، فقد كانت تتلهى وتتسلى وتستعيض بالحب الصادق بهذه الباقة من العواطف التى كان يقدمها أكبر رجال الفكر الذين يحفون بها، ويسارعون إلى إهداء أرق العبارات إليها متنافسين على خطب ودها وكسب رضاها فى معركة صامتة لا يشهر فيها أحد منهم سيفه إذ لا أمل فى الكسب[93].

وظل هذا الجو الفكرى المرح فى صالون "مى" وتلك المناقشات والمساجلات على حالها حتى قامت ثورة 1919 وشملت كافة طبقات الأمة، فتغيرت مناقشات الصالون واختفى أغلب رواده حيث شغلهم العمل الثورى بعد أن نزلت الثورة إلى الشارع، واجتاحت أفكارها المقاهى والمنتديات، وبدأ الناس يلوكون سمعة ساسة عابدين والآستانة وقصر الدوبارة[94].

---

(91) فتحى رضوان: مرجع سابق، ص 330.

(92) كامل زهيرى: مائة امرأة وامرأة، ص 210-213

(93) فتحى رضوان: مرجع سابق، ص 334.

(94) فتحى خليل: سلامة موسى، وعصر القلق، ص75.

وبعد انتهاء الثورة عادت أمور صالون "مى" إلى حالها وشاركت "مى" ضيوف صالونها فى كل حديث ومناقشة.

وقد ظل هذا الصالون قبلة للأدباء ومكانا محببا لدى العديد من المثقفين حتى تعرضت صاحبته لمرض وبيل، اضطرها إلى أن تغلق على نفسها باب بيتها، ولم تعد ترى أحدا من رواده الذين لم يسمعوا عنها بعد ذلك إلا ما يتعلق بمرضها ثم استفحاله، والذى توفيت على أثره فى أكتوبر من عام 1941.

وأصبح صالونها ذكرى بعد أن كان أثرا[95] وبذلك انطوت صفحة كاتبة من ألمع كتّاب العربية امتازت عن غيرها فى كتاباتها بموسيقية وشاعرية. واستطاعت بأسلوبها الفريد أن تكون مصدر إلهام رجال كثيرين أحبوها، وظنوا جميعا أنها أحبتهم، فأسعدهم هذا، وحرك وجدانهم فأسدوا إلى الأدب العربى أيادى بيضاء[96].

وفى رثائه "لمى" أشار شاعر الأقطار العربية جبران خليل جبران إلى صالونها فقال:

قد تولى رفاقنا وبقينا ... يعلم الله بعدهم ما لقينا

أقفر البيت أين ناديك يا مي ... إليه الوفود يختلفونا

صفوة المشرقين نبلا وفضلا ... فى ذراك الرحيب يعتمرونا

فتساق البحوث فيه ضروبا ... ويدار الحديث فيه شجونا

وتصيب القلوب وهى غراث ... من ثمار القلوب ما يشتهينا

صالون هدى شعراوى:

وعن صالون هدى شعراوى فقد أسست فى بيتها صالونا نسائيا بحتا لم يتردد عليه من

---

(95) الرمادى: مرجع سابق، ص 81.

(96) فتحى رضوان: مرجع سابق، ص 338. ويذكر أنيس الخورى المقدسى أنه لو جمعت الأحاديث التى دارت فى ندوة "مى" لتألفت منها مكتبة تقابل العقد الفريد ومكتبة الأغانى فى الثقافتين الأندلسية والعباسية. انظر: الفنون الأدبية وأعلامها، بيروت، 1960، ص 468.

الرجال غير القليل منهم إبراهيم الهلباوى، وكانت هدى تدعو إلى هذا الصالون مى زيادة ولبيبة هاشم صاحبة مجلة فتاة الشرق، وملك حفنى ناصف باحثة البادية[97]. وكانت جلسات هذا الصالون تعقد فى الثلاثاء من كل أسبوع، وقد نوقش فيه العديد من الأمور الأدبية والسياسية، كما تبنى المواهب وهى لازالت فى براعمها[98].

صالون العقاد:

وعن صالون العقاد الذى كانت تعقد جلساته فى بيته يوم الجمعة أسبوعيا فى مصر الجديدة بشارع السلطان سليم رقم 13، فقد احتشدت فيه العديد من العقول التى جددت ملامح هذا الجيل وهيأت الجو الأدبى والفلسفى لقضايا كبرى، ولم يكن لجلساته موضوع محدد بل دارت فيها موضوعات شتى من التاريخ والأدب والفلسفة والفن والسياسة والفكاهة والنوادر فى كل فروع المعرفة الإنسانية، خاصة وأن العقاد لم يتخصص فى أى شىء بل كان عقله موسوعة[99].

وكان من رواد صالون العقاد: زكى نجيب محمود وعبد الرحمن صدقى ونعمان عاشور وصلاح عبد الصبور وسنية قراعة وجاذبية صدقى وأنيس منصور والعديد من المفكرين العرب وغيرهم، ومن مقعده استطاع العقاد أن يتوغل بأفكاره فى قلوب مريديه ويخاطبهم بلغة المنطق والواقع بجرأة وإصرار، يتكلم فى الأدب، ويناقش فى الفلسفة والسياسة، وينتقد الكتب على أسس من دراساته العميقة، والجمع يستمعون وكأنهم أدباء أثينا القديمة فى حضرة أفلاطون أو أرسطو[100].

صالون طه حسين:

أما صالون طه حسين فقد كان يعقد مساء كل أحد فى بيته بالزمالك

(97) كامل زهيرى: مرجع سابق، ص 208.

(98) انظر: مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة هدى شعراوى، ص 7-8.

(99) أنيس منصور: فى صالون العقاد كانت لنا أيام.

(100) محمد نصر. أدباء فى صور صحيفة، ص 172.

حيث كان يستقبل هو وزوجته سوزان كبار رجالات وسيدات الثقافة والمجتمع، وضيوف مصر من المفكرين يتناقشون فيما يحلو لهم من حديث فكرى خاصة ما كان يدور فى كتبه، وفى القضايا التى كان يثيرها من أجل حرية الرأى، والجديد فى الفكر المعاصر(101).

وكان من زوار هذا الصالون د. حسين فوزى صاحب السندباد المصرى، والدكتور أحمد إبراهيم رئيس ديوان المحاسبة والدكتورة سهير القلماوى، ويوسف السباعى وغيره، وظلت ظاهرة الصالونات الأدبية مستمرة حتى وقتنا الحالى، كما ظل الزخم الثقافى الذى تحمله مستمرا، حيث تبناها بعض الأدباء والمثقفين الجدد فأقيمت بشكل دورى، إما فى منازل بعضهم أو فى مؤسسات ثقافية ومهنية مثل: صالون النديم الذى تتبناه نقابة الصحفيين بالقاهرة والصالونات الأدبية والعلمية التى تقام فى المدن الكبرى مثل المنصورة وغيرها، والتى تتعرض لموضوعات رئيسية تتم مناقشتها.

ومما سبق يتضح أن المقاهى والصالونات الأدبية كانت حياة زاخرة بالأفكار والأحداث والشخصيات ممن صنعوا الحياة الفكرية والثقافية والسياسية فى مصر، وكانوا بمثابة عقول الأمة وصناع وجدانها. وأن هذا الوهج قد اختفى بكل مباهجه فى هذه الأيام، ولم يعد فى القاهرة من مقاهى الأدب والفن سوى القليل، فقد تحولت المقاهى إلى أسواق مفتوحة للباعة المتجولين، كما امتلأت المقاهى بالعمال المتعطلين عن العمل والموظفين المحالين إلى المعاش، وإلى جانب ذلك فقد انتشرت ظاهرة مقاهى الإنترنت التى فى حاجة إلى إشراف الدولة نظرا لأنها يمكن أن تضر الشباب أكثر مما تفيدهم، كما ظهرت مقاهى الخمس نجوم فى الفنادق والمراكب السياحية والتى تلعلع فيها أصوات الديسكو والكاريوكى.

كما لم نعد نسمع عن معركة فكرية أو قضية سياسية داخل مقهى أو صالون يمكن أن تساعد على قلب رتابة حياتنا خاصة وأن عصر التلفزيون بصخبه وبرامجه وثقافة

(101) كمال الملاخ: طه حسين قاهر الظلام، ص 178.

الساندوتش السريعة قد أغلقت هذا الباب بالضبة والمفتاح إلى حد كبير. كما أن معظم المجلات الثقافية والأدبية والفنية قد خلت من المبارزات الفكرية بين التيارات الأدبية والاتجاهات الفنية والمدارس الفكرية المختلفة.

المصادر والمراجع

أولاً المراجع العربية:

- أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، القاهرة، النهضة المصرية، 1971.
- إدوارد وليم لين: المصريون المحدثون - ترجمة عدلى طاهر نور - القاهرة، مطبعة الرسالة، 1950.
- استر تسيمرلى: حياتى فى مصر. مذكرات فتاة سويسرية عاشت فى الإسكندرية. ترجمة محمد أبو رحمة، د.ت.
- أنيس منصور: فى صالون العقاد كانت لنا أيام، القاهرة، دار الشروق، 1993.
- توفيق الحكيم: عصفور من الشرق، القاهرة، مكتبة الأسرة، 1996.
- جمال الدين الرمادى: عبد العزيز البشرى، القاهرة، أعلام العرب، 1963.
- جيرار دى نرفال: رحلة إلى الشرق - ترجمة كوثر البحيرى، القاهرة، دار الكاتب العربى، 1966.
- حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1937.
- خيرى شلبى: صحبة العشاق رواد الكلمة والنغم، القاهرة، مكتبة الأسرة، 1996.
- سمير سرحان: على مقهى الحياة، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1988.
- شريف عفت: تاريخ أقل قبحا 1942 - 1952، القاهرة، دار المركز المصرى العربى، 2004.
- شوقى ضيف: مع العقاد، القاهرة، دار المعارف، 1964.
- طه حسين: أديب، القاهرة، مكتبة الأسرة، 1998.

  مذكرات طه حسين، بيروت، الطبعة الأولى.
- عباس العقاد: - أنا، القاهرة، دار الهلال.

ـ عبد الرحمن الكواكبى، الرحالة ك، القاهرة، نهضة مصر، 1986.

ـ عبد الرحمن الرافعى: ثورة 1919 تاريخ مصر القومى 1914 ـ 1921، القاهرة، النهضة المصرية، 1955.

ـ عبد العزيز البشرى: المختار، جـ2، القاهرة، 1959.

ـ عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، القاهرة، دار الكتاب الجامعى، 1980. تطور الموسيقى والطرب فى مصر الحديثة، القاهرة، وزارة الثقافة 2005.

ـ عبد المنعم شميس: قهاوى الأدب والفن فى القاهرة، القاهرة، دار المعارف، 1991.

ـ على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، جـ7، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1987.

ـ فتحى رضوان: عصر ورجال، جـ1، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2003.

ـ فتحى خليل: سلامة موسى وعصر القلق، القاهرة، د.ت.

ـ قاسم أمين: المصريون، القاهرة، دار الهلال، 1995.

ـ قطاكى الياس عطارة: تاريخ تكوين الصحف المصرية، الإسكندرية، مطبعة التقدم، 1928.

ـ كمال زهيرى: مائة امرأة وامرأة، القاهرة، مكتبة الأسرة، د.ت.

ـ كمال الملاخ: طه حسين قاهر الظلام، القاهرة، دار الكتاب الجديد، 1972.

ـ محمد سيد كيلانى: فى ربوع الأزبكية، القاهرة، دار العرب، 1958.

ـ محمد عبد الله عنان: ثلثا قرن من الزمان، القاهرة، دار الهلال، 1988.

ـ مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1931.

ـ محمد عبد الواحد: حرائق الكلام فى مقاهى القاهرة، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2004.

ـ محمد عمر: حاضر المصريين أو سر تأخرهم، القاهرة، مطبعة المقتطف، 1902.

ـ محمد كامل جمعة: حافظ إبراهيم، القاهرة، 1958.

ـ محمد نصر: أدباء فى صور صحيفة. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965.

ـ نجيب محفوظ: بين القصرين، القاهرة، مكتبة مصر، د.ت.

ـ نعمان عاشور: مع الرواد، القاهرة، مكتبة الأسرة، 1996.

ـ هدى شعراوى: مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة، القاهرة، كتاب الهلال سبتمبر، 1981.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Lane, Edward William: An Account of the Manners and customs of Modern Egyptians, Cairo, The American University, 2003.

ثالثا: الدوريات:

ـ الأهرام عدد 6 يناير 1896.
ـ التنكيت والتبكيت: العدد الأول يونيو 1881.
ـ الجريدة فى اكتوبر 1911.
ـ الرسالة أغسطس 1937، فبراير ومايو 1939.
ـ القاهرة فى يونيو 2004.

❊ ❊ ❊